دوائر الخليل بن أحمد العروضية وقيمها الموسيقية

كثيراً ما نسمع أو نقرأ عن دوائر الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) العروضية، وبخاصة في المصادر القديمة التي تحدثت عن علم العروض[١]. ومع ذلك فإن كثيراً منا يقف عاجزاً، أو شبه عاجز عن فهم المراد منها، أو تفسير رموزها أو معرفة كيفية توزع البحور في كل دائرة، أو الروابط التي تربط بين البحور المنتمية إلى دائرة عروضية واحدة، أو غير ذلك من الأسئلة.

وتكاد كتب العروض الحديثة تغفل الحديث عن الدوائر العروضية اغفالا شبه تام، حتى كأنها وجدت في الحديث عنها ودراستها وتوضيحها عناء لا طائل من ورائه[٢]. ولا شك في أن هذا الاغفال ـ في رأينا المتواضع ـ تقصير لابد من تداركه. حتى نستطيع أن نفهم القيم الموسيقية بين الأبحر المنتمية إلى فئة معينة من جهة، ومن جهة أخرى يعد هذا الاغفال تضييعا لجهود مبدعة عظيمة[٣] بذلها الخليل بن أحمد الفراهيدي[٤] حتى استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه.

والحقيقة أن « الخليل » لم يستطع أن يصل إلى هذه الدوائر العروضية وغيرها من أقسام علم العروض، لولا ذكاؤه الخارق، ورسوخ قدمه في علم الايقاع والرياضيات، ثم جهوده العظيمة التي لم تعرف الكلل، فاستطاع أن يجمع جل الشعر العربي الذي قيل منذ الجاهلية إلى عصره، وهو كثير جداً، واستقراه استقراء دقيقاً أوصله إلى أنه ينتمي إلى دوائر عروضية خمس[٥]، وكل دائرة تجمع عددا من الأبحر المتشابهة، أو بتعبير آخر ينبثق منها عدد من الأبحر المتفقة اتفاقا